

المحور الأول: في التفكير العلمي

كان لانفتاح العرب على الثقافات المجاورة و توافد معارف جديدة أن تنشّط العقل و ازدهرت حركة الترجمة من الفكر اليوناني علوما و فلسفة فتراكمت المعارف مما احتاج معه العالم العربي المسلم إلى تدخل العقل لمزيد تفعيل الوافد العلمي و الفلسفي.

و لم يقتصر عمل العالم العربي على الاقتباس بل كانت الإضافة مرحلة هامة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية عملا بقول الجاحظ: "ينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا". فلم تكن غاية العلماء العرب القدامى نقل المعارف السابقة للأمم الأخرى و تلقينها بل كانت غايتهم إيقاظ العقول و تعليمها منهجا في التفكير يهدها. ففي تراثنا الأدبي و الفكري و الفلسفي و حتى الفقهي منزع عقلي نشأ في صلب العلوم الإسلامية و على هامشها في الآن نفسه و قد جلاه علم الكلام.

1. دور العقل في إنتاج القيم المعرفية:

إنّ إجلال العقل منهجا في إنتاج العلوم عند المسلمين أمر لا يختلف فيه اثنان و لقد أدرك العالم العربي و المسلم عموما أن الحواس لا تقدّم إلا معرفة حسية ظنية و عليه فلا بدّ من تدخل العقل ليحسم الأمر فقال الجاحظ: "لا تذهب إلى ما تريك العين و اذهب إلى ما يريك العقل و العقل هو الحجة". فكان آلة التمييز بين الخطأ و الصواب و سبيلا لاستنباط المعرف عند العلماء و الفلاسفة فالفرابي و ابن سينا و الكندي و الغزالي و التوحيدي و ابن خلدون و غيرهم كثير لم يجدوا من بد إلى المعرفة العقلية إلا العقل سبيلا. فكان تحمسهم للمنطق و الشكّ و التجريب و أعمال القياس و البحث في أصول الأسباب و المعلومات مما ألهمهم إلى ابتكار نظريات جديدة و تطوير العلوم السابقة. و لا ننسى ما تركه ابن خلدون في علم العمران البشري و لا إسهامات ابن الجزار في تطوير الأدوية و لا تلك الاختراعات العجيبة للإبشيهي في علم الحيل و علم الميكانيكا.

2. دور العقل في صنع القيم السلوكية:

لم يهمل العالم العربي قديما مجال السلوك و الأخلاق في بحثه لأنّ ذلك مقياس التحرّر فراح يدعوا إلى اعتماد العقل ملكة في ضبط السلوك إيمانا منه بالتطابق بين العمل بالعقل و بين نتائج العقل فكان يجلّ السلوك و الأخلاق لأنها الضامن الوحيد إلى نجاح مشروعه الفكري و الحضاري و الإنساني.

3. سمة العالم العربي:

• الموضوعية: لم يكن العالم العربي القديم ذاتيا في أحكامه دغمائيا في أفكاره انطباعيا في أحكامه بل كانت الموضوعية سمة مميزة له في البحث لذلك لم يكن يسلك أفكاره على الآخر و لم يرفض آراءه على المتقبل و إنّما كان الحجاج و السّجال و الجدل هدفا مميّزا لأعماله

• الانفتاح: التحرر الفكر علامة على المشروع الإنساني الذي كان يرنو إليه المبدعون العرب القدامى. فهم مؤمنون بأن المعرفة ليست حكرا على أمة دون أخرى و إنّما هي مشروع مشترك و الحقيقة أخطاء نصلحها باستمرار. فكان مؤمنا بحق الآخر في الاختلاف محترما لثقافته رافضا التعصّب داعيا إلى التّكامل بين السابق و اللاحق فانعكس هذا كلّهُ على المشهد المعرفي العربيّ عصرنا لذلك تحضر في أعمالهم آراء الفلاسفة القدامى للإغريق و تزخر مؤلفاتهم و مصنفاتهم العلمية بآراء أهل الاختصاص من فلاسفة اليونان لأنّ الحقّ واحد و إنّما الإلتلاف فيه من جهة السلوك إليه على حد عبارة ابن الهيثم عالم البصريّات المشهور.

• التسامح: إنّها ميزة الباحث عموما و خصلة فريدة ميّزت العلماء القدامى و ارتقت بأعمالهم إلى مرتبة الكونية بما في وفّره العصر من تلاقح حضاري و ثقافي. و إن المتأمل في الحضارة العربية الإسلامية قديما يدرك أنّها لم تكن حضارة منغلقة على نفسها رافضة التّواصل مع الآخر فلو لجأنا إلى قدر قوتنا في لما أمكننا التّواصل و الإنسان مدي بطبعه يحتاج إلى غيره لتكتمل أراؤه فتتوضّح له

مجالات من البحث جديد كانت من قبل مجهولة لديه.

4. موقع العالم العربي القديم من الحضارة الإنسانية قديما و حديثا:

لا تزال أعمال ابن الجزار و ابن النفيس و ابن البيطار في الطبّ و الخوارزمي في الرياضيات و ابن الهيثم في البصريات و ابن رشد في شروحه لفلسفة أرسطو حاضرة اليوم في أكبر جامعات العالم و لا تزال مؤلفاتهم يله جيبها أصحاب الاختصاص. لقد ساهموا حقًا في تفعيل العلوم لما ابتكروه من نظريات جديدة في مختلف المجالات: الطبّ و الفيزياء و علم الحيل (كيمياء)... و إن النهضة الغربية لم تكن لتكون لولا أعمال العالم العربي القديم و ما قدمه للإنسانية من خدمات. فمن التعسف إذن أن نقصي اليوم دورهم و نتغافل عن أفكارهم و إنما هي لنا اليوم معين في سبيل إرساء علوم عربية جديدة تعدّ للحضارة العربية الإسلامية بريقها حتّى نفتكّ لنا مكانة تحت الشمس في عصر لا يعترف إلا بما تنجزه من علوم و إلا سنبقى على هامش التاريخ لا نقوى أمام عواصف التّغيير.

المحور الثاني: في الفنّ و الأدب

أدرك العرب و المسلمون عموما ما للفنون من دور فعال في التّحضّر فاهتمّوا بها و نزّلوها منزلة السّامية لما لها من أثر على النّفوس و الأخلاق في سبيل الارتقاء بالإنسان من المنزلة الدّونية إلى أخرى فنيّة جماليّة.

1. بلاغة الفنّ القوليّ:

الشّعر ديوان العرب و ليه أودع المبدع العربيّ قديما هذا الفنّ القوليّ أحاسيسه و أفكاره و مقاصده فكان الشّعر سبيلا إلى عطف القلوب على القيم الحسنة و تنفييرا من القيم الرذيلة و كذلك الشّأن في النّثر فالناظر إلى كليله و دمنه مثلا يدرك ما لهذا الأثر من قيمة في توجيه السلوك ة حمل الإنسان على إعمال العقل آلة في التّمييز بين الصّالح و الطّالح.

2. بلاغة الفنّ السّمعّي:

يحتاج الإنسان في حياته إلى الموسيقى لدفع الملل و السّأم لأنّ النّفوس تصدأ كما يصدأ الحديد لذلك اهتمّ الفلاسفة و العلماء بالموسيقى لما وجدوا فيها من غايات نبيلة و تهذيب للأذواق و التّرويح عن النّفوس. و كان الفارابي علامة مميزة في هذا الإطار و هو القائل "من لم يكن موسيقيا لا يدخلنّ علينا" و حدّوه سار ابن سينا الذي كان يتخذ من الموسيقى منهجا في مداواة مرضاه و أمّا الغزالي و هو إمام فقيه و فيلسوف فقال "من لم يهزه العود و أوتاره و الربيع و أزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج إلى علاج".

3. بلاغة الفنّ البصريّ:

تزخر العمارة العربيّة الإسلاميّة بفنون جميلة راقية تقف شاهدا على عبقرية الفنان العربي المسلم و على رفعة حسّه الجماليّ و عمق خياله و ثراء إبداعه. و مما لا شكّ فيه ان للذين أثرا في ذلك فلقد كان الفنان العربي المسلم محبا للفضيلة شغوبا بالجمال يتتبعه في الوجود مقدّسا للحقّ بما انعكس على أعماله في الرقش و الخط و عمارة المساجد و القصور و المنازل و في المنمنمات. لقد أودع فنه سرّ خلوده إلى اليوم و إنّنا لنشعر اليوم و نحن نقف أمام هذه الأعمال في مختلف أنحاء البلاد الإسلاميّة إلا بالاعتزاز و الفخر فنكبر فيهم إحساسهم المرهف و دقّة أعمالهم و ما توفرت عليه من مرجعيّات جماليّة ذات خصوصيّة بالثقافة العربيّة الإسلاميّة. لقد كانت العمارة العربيّة الإسلاميّة و فنّ الخطّ وجها آخر من قوّة تلك الحضارة و علامة مميزة لها و مثال على حب الجمال و السّعي الدّؤوب إليه. و لم يكن المهندس العربي قديما ينشأ إبداعه من فراغ و هو الذي تأثر بتعاليم الدّين الجديد و بالفنون السّابقة له في الحضارات الأخرى اليونانيّة و الرّومانيّة و الفارسيّة و غيرها و لكنّه استطاع أن يهب أعماله خصوصيّة نادرة تقف دليلا على قوّة الإبداع، فالمتملّ مثلا في عمارة المنزل العربي قديما و في هندسة المدينة العربيّة العتيقة أسوارا و أزقة و أسواقا و منازل و قصورا يلحظ أنّها بسيطة من الخارج و حسبه أن يتوغّل في الدّاخل فيأخذها الفنان إلى لوحات جماليّة فاتنة تسبي العقول إنّ الظاهر ليس محدّدًا لقيمة الأشياء و إنّما الجوهر هو المرجع في القيم و الأخلاق و تلك الفكرة منبثقة عن الدّين ترسخ قيمه فتعيد إنتاجها فنيّا. و صفوة العقول إنّ الفنان العربي المسلم في القديم كان محبا للجمال حساسا متعطّشا للقيم الأصيلة فأودع فنه سرّ الخلود و رؤيته للجمال و الوجود. فكان بحق علامة مميّزة للحضارة العربيّة الإسلاميّة التي اهتمّت بالفنون و أجلّت الجمال خلافا لما يروج له أعداؤها اليوم من أنّ الإسلام كان مانعا من الموانع دون إدراك الجمال و الوصول بالفنّ إلى ذرى الخلق و الإبداع .

الموسيقى : " إنّها أداتي المفضّلة لأتحرّر من بركان أحاسيسي فتفجّر ما في باطني من انفعالات , فهي تعبّر عن ذاتي, تنسيني همومي, تصوّر لي عالما جميلا رحبا, تجعلني في حالة انطلاق قصوى, تشعّرنني بأنّي كائن حرّ, كائن مليء بالأحاسيس والمشاعر النّابضة حياة وقوّة وإقبالا على الحياة".

الرّسم: " هو وسيلتي لأبرز طاقاتي الكامنة, وهو أداتي لأعبر عن مشاعري, أرسم عالمي الفسيح فأنطلق فيه دون قيود, فعندما أمسك الفرشاة فكأنني امتلكت العالم وأمسكت بزمام الكون فوجّهته حسب إرادتي. فالألوان هي ألوان ذاتي والأشكال هي تموجات روحي والأجسام هي معاني بعيدة المنال, أرمي من ورائها لمخاطبة النفوس المرهفة الطامحة لتحقيق المثل العليا في هذا الوجود القاتم ".

الشعر: " هو بلسم للنفوس الحزينة. هو شفاء للقلوب المرهفة حباً وألماً ومعاناة. الشعر هو فنّ من فنون الأدب " مأساة أو لا يكون " فمثلما يعبر عن ذاتي فهو يعبر عن ذاتك وهو يعبر عن هموم المجتمع, عن قضاياها, عن الواقع, وعن آلامه وآماله ومستقبله, مشيراً إلى الداء محاولاً البحث عن الدواء الناجع لإصلاح ما تهرأ من قيم مبتذلة بأخرى نبيلة مقدسة. هو عالم الجمال الرّحب, وهو عالم الفضيلة, العالم المنشود)

المسرح: " هو فنّ الفرجة المتكاملة, فهو يتغذى بالأدب, ويتجلى أشكالاً تعبيرية هي اللغة أدبا والحركة رقصا والموسيقى نغما, والرّسوم ديكورا وأشكالاً, وهي الكائن الحيّ الممثل فوق مسرح الحياة يمارس الفنّ, الحياة مباشرة فيكون التأثير المباشر عاطفة وفكراً. فالمسرح يشبع رغباتي الوجدانية ورغباتي الفكرية ".

الغناء: " لحظة الإنصات والاستغراق في الأغنية هي لحظة مقتطعة من الزّمن, لأنّ الغناء الملثم, الغناء الرّاقى هو ما يلامس ذاتي, ويخاطب فكري فيترك بصماته العنيفة في الأعماق. يزلزل كلّ ذرة في كياني. فلحظة النشوة القصوى هي لحظة التّماهي مع ذات المغني, فإذا به أنا أعبر عن وجداني واضطراب نفسي ".

السينما: هي أمّ الفنون وأكثرها تأثيراً في العمّة والخاصّة. فأن أشاهد شريطاً يعني أن أتعلّم كيف أحياء, كيف أدرك مساوئ الواقع, فهي التي ترفع النّقاب عن قضاياها وأنا أحبذ الأقلام الواقعية التي لا تبعدني عن الواقع ولا تزيف الحقائق, بل تعلّمني أن أدرك أخطائه ومواقع الخلل فيه وتدعوني ضمناً لضرورة البحث عن واقع أسعد, أفضل, فالممثل في الشّريط هو أنا وأنت والقضايا المطروحة هي قضايا واقعنا المعيشي ".

الفنّ: " إنّ الفنّ يغرس في الإنسان حبّ الوطنيّة. ويجذر فيه قيماً نبيلة من خلال ما يعرضه على المشاهد من أفلام ومسلسلات تاريخيّة أو عن قصص الأنبياء. فهي كفيلة بجعل الإنسان يفخر بماضيه ويعتزّ, إذ تغرسه في تربته الحضاريّة وتحميه من الاستلاب الثقافيّ والفنّ هو مجال الحرية الفرديّة فمن خلاله يشعر الإنسان باستقلاله فكراً وقولاً وعملاً فيكون الخلق والإبداع. والفنّ مهمّ في المجتمع إذ لا نبالغ إن قلنا إنّ الفنّ هو منبع كلّ حضارة فإذا أردت معرفة مدى عظيمة مجتمع فانظر إلى فنّه. فالإهرامات مثلاً تبرز مدى ذكاء المصريين وقدرتهم على الإبداع الفنّي... وإذا أردت أن تدرك مدى تطوّر مجتمع ما فاحص دور السينما والمسارح فعددها يبرز مدى أهميّة الفنّ ومدى مساهمته في تطوّرهم. فلوحة راقصة مثلاً من شأنها أن تبرز عادات شعب ما وأفكاره وتقاليده... والفنّ رسالة يتوجّه بها الفنان إلى المجتمع من خلال عرضه لقضايا اجتماعيّة مثل التفكّك الأسريّ والصّراع بين الأجيال والانحراف... فالفنّ كما قال "كوكتو": " الفنّ في شعب ثائر هو ثورته "... وهو صرخة في وجه الاستعمار أو الميز العنصريّ فيدفع الشّعوب إلى المقاومة ومحاوله التّجاوز مثل موسيقى الزّنج بأمريكا وشعر المقاومة الفلسطينيّة. وكما يقول " مالوي ": " قوّة الفنّ تكمن في دفعنا إلى تحطيم لا يمكن تحطيمه "

المحور الثالث: في حوار الحضارات:

حوار الحضارات هو كل تفاعل بين حضارتين أو أكثر يتم فيها تبادل الخبرات في مختلف المجالات من أجل تمتين العلاقات بين الشعوب سياسياً وثقافياً واقتصادياً. و اليوم أصبح التلاقح الثقافي و الحضاري ظاهرة موضوعية مثل الظواهر الطبيعية من العتب مقاومتها إنه قانون عام لا يصد و لا يرد.

1.دواعي حوار الحضارات:

إن دخول الإنسانية مرحلة تاريخية جدية تسمى بالكونية الشاملة و العولمة جعلت كل الأفراد في العالم يشعر بالحاجة إلى ثقافة الآخر المختلف عنه و ضرورة التعرف إليه فالإنسان لو لجأ إلى قدر قوته لما أمكنه العيش لذلك تشعر كل شعوب العالم بعدم قدرتها على الاكتفاء بذاتها. و قد تظهر هذه الدواعي في مجالات عدة منها المجال الثقافي. فقد تضاعفت الحاجة اليوم لدى الشعوب إلى التبادل الثقافي الحر استئناساً بالآخر و التعرف إلى عاداته و خبراته و الاستفادة منها في تطوير مرجعيته الحضارية وفق آليات محددة.

2.شروط الحوار الحضاري:

• الاعتراف بالآخر: أن يؤمن كل طرف بحق الاختلاف في كنف الحرية و المسؤولية مما يساهم أكثر في الابتكار و الإبداع، يقول توفيق بن عامر: "لا مجال للحوار بدون حرية و تضاف إلى هذه القاعدة قاعدة مبدئية أخرى هي ضرورة الاعتراف بالآخر و بهويته و معتقداته و حضارته و إحلال مبدأ التسامح محل النزاعات التعصب و إقصاء فكرة التفاضل بين الثقافات و استبدالها بفكرة التكامل بين الثقافات."

• تجنب مبدأ المفاضلة: فعلى كل طرف أن يعامل الطرف المقابل له على مبدأ المساواة في القيمة والمكانة تأثراً و تأثيراً.

• التبادل: أن يؤمن كل طرف بجديّة الشراكة فينهض الحوار على تبادل مستمر للخبرات و القدرات و المعارف بشكل يسرق التقدم و يحقق التطور الحضاري المطرد. فعلى كل طرف أي ينظر إلى الآخر على أنه كائن ثقافي و حضاري كفاء و قادر على الإضافة و على أن يعطي بقدر ما هو مستعد إلى أن يأخذ.

3.وسائل تحقيق حوار الحضارات:

• الترجمة: هي من أقدم وسائل التعامل بين الثقافات و الشعوب و مهمتها نقل الخبرات و القدرات و المعارف و تعميمها بين الأمم. يقول منجي الشملي: "بها ينشأ التفاهم بين الشعوب و التعاضد الثقافي."

• الإعلام: في الحضارات و الثقافات القديمة كان التلاقح بطيئاً لبطء الاتصالات و أما في الأزمنة الحديثة فقد تسارع التاريخ فتسارعت وتائر التلاقح بفضل تقنيات الاتصال و البث و التبادل و السياحة و الهجرة و اختلاط السكان و لقد أسهمت وسائل الإعلام في سرعة تنقل خبرات الأمم، يقول مصطفى المصمودي: "يعتبر الكثير من الملاحظين أن تكاتف شبكات الإرسال و اتّساع رقعتها سيفتح عهداً جديداً تتأثر به الأرضية الثقافية في مختلف المجتمعات."

و من وسائل الحوار الحضاري نذكر الانترنت و التبادل الثقافي في شكل رحلات علمية و بعثات ثقافية

4.مقاصد حوار الحضارات:

مقاصد إنسانية يمكن حصرها في الآتي:

• محاربة النزاعات الأثنية المدمرة

• إزالة مظاهر الحقد و البغضاء و الحروب بين شعوب العالم

• نشر ثقافة الاعتدال و التسامح و نبذ مظاهر التطرف و التشدد

• نشر قيم الحرية و العدالة و السلم

• التقريب بين الثقافات المختلفة دون التفريط في الخصوصية الثقافية الضامنة للهوية

• كسر الحدود بين الشعوب و خاصة الجمركية لتحقيق حرية التبادل التجاري في مشروع العولمة.

5. عراقيل الحوار الحضاري:

-النزوع إلى الهيمنة بمختلفة تجلياتها الاقتصادية و السياسية و الثقافية فتلاقي الاقتصاديات في اقتصاد عالمي متدامج يجري حتى الآن على نحو متوحش استفاد منه البعض و سقط البعض ضحايا له.

-نشر ثقافة عدائية عبر وسائل الإعلام فلا بدّ اليوم أن نضمن درجة معقولة من التنوّع الثقافي في العالم فلا بدّ من إعادة هيكلة المؤسسات التعليمية في العلم لمجانسة برامجها في ما يخصّ القيم الكونية مثل الديمقراطية و حقوق الإنسان باعتبارها قيما ثقافية عابرة للقوميات يتعرف فيها العقل الإنساني على نفسه لتخريج أجيال إنسانية ذات وعي متجانس لا ينتهك حقوق الإنسان و لا يسكت على انتهاكها و متشبع بقيم التضامن البشري و باحترام البيئة باعتبار الأرض وطن للإنسان الحقيقي المهدد بكارثة ايكولوجية مميتة.

-نزاعات التعصب العرقي و الديني.